مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ

جُزْءِ عَمَّ

[سُورَتَيِ: الطَّارِقِ، وَالْأَعْلَى]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الطَّارِقِ

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ بَعْضَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَقَدْ أَقَامَتِ الْبُرْهَانَ السَّاطِعَ، وَالدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ إِمْكَانِ الْبَعْثِ، فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْكَوَاكِبِ السَّاطِعَةِ، الَّتِي تَطَّلِعُ لَيْلًا لِتُضِيءَ لِلنَّاسِ سُبُلَهُمْ، لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَقْسَمَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، قَدْ وُكِّلَ بِهِ مَنْ يَحْرُسُهُ، وَيَتَعَهَّدُ أَمْرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ سَاقَتِ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ، عَلَىٰ قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَىٰ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ أَخْبَرَتْ عَنْ كَشْفِ الْأَسْرَارِ، وَهَتْكِ الْأَسْتَارِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْبَشَرِ، حَيْثُ لَا مُعِينَ لِلْإِنْسَانِ وَلَا نَصِيرَ ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُعْجِزَةِ مُحَمَّدٍ فِي الْخَالِدَةِ، وَحُجَّتِهِ الْبَالِغَةِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَبَيَّنَتْ صِدْقَ هَذَا الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَتِ الْكَفَرَةَ الْمُجْرِمِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِتُكَذِّبَهُمْ بِالْقُرْآنِ السَّاطِعِ الْمُنِيرِ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ الطَّارِقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلطَّارِقُ﴾: مَا جَاءَ لَيْلًا، وَالمُرَادُ بِهِ: النَّجْمُ الْبَادِي الظَّاهِرُ فِي اللَّيْلِ.

﴿حَافِظٌ﴾: يَحْفَظُ عَمَلَهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿ٱلصُّلْبِ﴾: عِظَامُ الظَّهْرِ.

﴿تُبْلَىٰ﴾: تُخْتَبَرُ.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾: وَمَا أَعْلَمَكَ مَا الطَّارِقُ؟

﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المُضِيء.

﴿دَافِقٍ﴾: الدَّافِق: المَدْفُوقُ المَصْبُوبُ.

﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: عِظَامُ الصَّدْرِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

فِي سُورَةِ الطَّارِقِ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ، وَبِالطَّارِقِ عَلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ، بَيَّنَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَسَمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: وَالطَّارِق: كُلُّ مَا يَطْرُقُ وَيَأْتِي لَيْلًا(٢)؛ وَسُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِطُلُوعِهِ لَيْلًا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ(٣) ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: النَّجْمُ: المُضِيءُ الَّذِي الَّذِي يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِنُورِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَثْقُبُ ضَوْءُهُ الظَّلَامَ(١)، كَأَنَّ الظَّلَامَ أَدِيمٌ، أَوْ جِلْدٌ أَسْوَدُ، وَالنَّجْمُ يَثْقُبُهُ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، و«فتح القدير» (٥/ ٥١٠)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٢).

(٢) وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**أن النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا**»، أخرجه البخاري في (النكاح، ١٢٠، رقم ٥٢٤٣، و٥٢٤٤) وفي مواضع، ومسلم في (الإمارة، باب ٥٦، رقم ٧١٥)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه، أَيْ: يَأْتِيهُمْ فجأة بالليل، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ: «...، **إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**»، أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩، رقم ١٥٤٦٠، و١٥٤٦١)، من حديث: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (رقم ٨٤٠، و٢٩٩٥).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٠)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٠٤)، =

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾: فَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَغِيبَ شَيْءٌ عَنِ التَّقْيِيدِ وَالتَّسْجِيلِ وَالْحِفْظِ، ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا﴾: إِلَّا عَلَيْهَا(٢)، ﴿حَافِظٞ﴾: مِنَ الملَائِكَةِ يَحْفَظُ عَمَلَهَا(٣).

=

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «**مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، وَمَا كَانَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَهُ**»، وهو صحيح عنه.

(١) أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٧٤ - ٤٧٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: «﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ **يَعْنِي: الْمُضِيءُ**»، وهو قول عكرمة، وقتادة، والحسن، وابن زيد.

وقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: «**الْمُتَوَهِّجُ**»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح.

(٢) وهِيَ لُغَةُ هُذَيْلٍ يَجْعَلُونَ «لَمَّا» بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَىٰ «إِلَّا» يَقُولُونَ: «نَشَدْتُكَ اللهَ لَمَّا قُمْتَ»، أَيْ: إِلَّا قُمْتَ، وهِيَ قراءة أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره البخاري معلقا (أحاديث الأنبياء، باب١)، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣)، بإسناد صحيح، وهو قول الحسن البصري أيضا، أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح، وزاد: «**وهكذا كلّ شيءٍ في القرآن بالتثقيل**».

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ «لَمَا» بِالتَّخْفِيفِ، بمعنىٰ: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَعَلَيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا»، علىٰ أن اللام جواب «إن»، و«ما» التي بعدها صلة، واختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٣).

(٣) وهو قول ابن عباس، وقتادة، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٥٣).

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾: أَيْ مِنْ مَاءٍ ذِي اِنْدِفَاقٍ(١)، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ: مَدْفُوقٍ(٢)، أَيْ: مَصْبُوبٍ فِي الرَّحِمِ.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: وَالصُّلْب: عَظْمُ الظَّهْرِ مِنَ الرَّجُلِ، وَالتَّرَائِب: هِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ، وَمَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ(٣).

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾: إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ لَقَادِرٌ(٤).

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أَيْ: تُخْتَبَرُ، وَتُعْرَفُ السَّرَائِرُ، وَهِيَ مَا يُسِرُّ النَّاسُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَالنِّيَّاتِ وَغَيْرِهَا، وَالسَّرَائِرُ: جَمْعُ سَرِيرَةٍ كَالسِّرِّ.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١١).

(٢) قَالَ الْفَرَّاءُ فِي «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٥): «وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَجْعَلُونَ الْفَاعِلَ بِمَعْنَىٰ: الْمَفْعُولِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ، كَقَوْلِهِ: (عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)، أَيْ: مَرْضِيَّةٍ، وَقَوْلِهِمْ: (سِرٌّ كَاتِمٌ)، أَيُّ: مَكْتُومٌ، وَ(همٌّ نَاصب)، أَيْ: مَنْصُوبٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ».

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٥)، والضياء في «المختارة» (١٢/ ١١٠، رقم ١٣٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ**»، وهو قول عكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، والسدي، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٣٥٦)، وغيره.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قَوْله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ بَعْثِهِ وَإِعَادَتِهِ قَادِرٌ**»، وهو قول جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، واختاره الطبري وغيره؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، أي: «تظْهَر الْخَفَايَا».

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾: عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ أَنْ مَاتَ، وَصَارَ تُرَابًا ﴿لَقَادِرٌ﴾، وَذَلِكَ يَوْمَ تُخْتَبَرُ، وَتُعْرَفُ السَّرَائِرُ، وَيُخْرَجُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾: أَيْ: فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ، وَلَا نَاصِرٍ، فَمَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ قُوَّةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ يُنْقِذُهُ مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾: فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ، يَوْمَ يُرْجِعُ اللهُ الْخَلْقَ إِلَيْهِ، فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ مِنْ ذَاتِهِ هُوَ يَدْفَعُ بِهَا الْعَذَابَ، ﴿وَلَانَاصِرٍ﴾: وَلَيْسَتْ لَهُ قُوَّةٌ مِنْ غَيْرِهِ تُنْقِذُهُ مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالسَّمَاءِ، وَأَقْسَمَ بِالطَّارِقِ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، «وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١).

(١) أخرجه أبو داود في (الأيمان والنذور، باب ٦، رقم ٣٢٥١)، والترمذي في (النذور والأيمان، باب ٨، رقم ١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨، رقم ٤٥) (١/ ٥٢، رقم ١٦٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٢٩)، من طريق: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قال البيهقي: «وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر»، بينهما الكندي، وهو: مجهول.

فقد أخرجه أحمد (٢/ ٦٩، و ٨٦، و ١٢٥)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ رقم ٨٣٠، ٨٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٣٠)، من طرق: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «**احْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**».

=

وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ، وَأَقْسَمَ بِالطَّارِقِ، ثُمَّ فَسَّرَ الطَّارِقَ، فَسَّرَهُ بِأَنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ، وَهَذَا النَّجْمُ هُوَ الشِّهَابُ الَّذِي يُرْجَمُ بِهِ(١).

وَالمُرَادُ بِهِ هُنَا: جِنْسُ النُّجُومِ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: وَإِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ يَبْدُو فِي اللَّيْلِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يَأْتِي إِلَىٰ النَّاسِ لَيْلًا: طَارِقٌ.

إِذَنْ، فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ سَمَاءٍ، وَبِكُلِّ نَجْمٍ، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ مِنْ رَبِّهَا يَحْفَظُهَا، وَيَحْفَظُ عَمَلَهَا، وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهُمُ الْحَفَظَةُ مِنَ المَلَائِكَةِ.

=

قال الطحاوي: «فَوَقَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».

وقال الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١): «وهذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع».

وأما الحاكم فقال: ««هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ!، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال: «وَإِنَّمَا أَوْدَعْتُهُ كِتَابَ الْإِيمَانِ لِلَفْظِ الشِّرْكِ فِيهِ.

فَأَمَّا الشَّيْخَانِ فَإِنَّمَا أَخْرَجَاهُ، مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ وَنَافِعٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِعُمَرَ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» فَقَطْ، وَهَذَا غَيْرُ ذَاكَ»، قلت: أخرجه البخاري في (الأيمان، باب٤، رقم ٦٦٤٦، و٦٦٤٧، و٦٦٤٨) وفي مواضع، ومسلم في (الأيمان، باب١، رقم ١٦٤٦).

(١) وهو قول إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨)، بإسناد صحيح، عَنِ السُّدِّيِّ، في قَوْلِهِ: ﴿شِهَابُ ثَاقِبُ﴾ [الصافات: ١١]، قَالَ: «**شِهَابٌ مُضِيءٌ يُحْرِقُهُ حِينَ يُرْمَىٰ بِهِ**».

وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ جَوَابُ الْقَسَمِ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ -بِجِنْسِ السَّمَاءِ-، وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالطَّارِقِ -بِجِنْسِ النُّجُومِ-، ثُمَّ فَسَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الطَّارِقَ بِأَنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ الَّذِي يَثْقُبُ سَوَادَ اللَّيْلِ بِضَوْئِهِ.

فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَالمُقْسَمُ عَلَيْهِ هُوَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾، فَلَنْ يَغِيبَ مِنْكُمْ شَيْءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَسْطُورٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ، مِمَّا تَكْسِبُونَهُ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، يَكْتُبُهُ الملَائِكَةُ.

ثُمَّ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ، وَأَرْشَدَهُ لِلتَّدَبُّرِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِ؛ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ وَمُجَازَاتِهِ.

وَنَبَّهَهُ أَيْضًا إِلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيهِ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَ عَلَيهِ أَعْمَالَهُ فَجَدِيرٌ بِهِ أَلَّا يُمْلِيَ عَلَىٰ حَافِظِهِ -الَّذِي يُسَجِّلُ عَلَيهِ كُلَّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ- جَدِيرٌ بِهِ أَلَّا يُمْلِيَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَتِهِ أَنْ يَرَاهُ.

وَأَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ، وَهُوَ المَنِيُّ الضَّعِيفُ الدَّفُوقُ فِي الرَّحِمِ، الْخَارِجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ المَرْأَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِرْجَاعِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الموْتِ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ، فَمَعْرُوفٌ بِبَدَاهَةِ الْعُقُولِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الْإِنْشَاءِ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ

الضَّعِيفِ قَدَرَ عَلَىٰ الْإِعَادَةِ، وَالْإِرْجَاعِ إِلَىٰ الحَيَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تُمْتَحَنُ فِيهِ السَّرَائِرُ، وَتَظْهَرُ فِيهِ خَفَايَا الصُّدُورِ، وَتَبْدُو فِيهِ مَكْنُونَاتُ الْأَنْفُسِ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُ، وَلَيْسَتْ لَدَيْهِ قُوَّةٌ تَمْنَعُهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يُتْرَكَ سُدًى؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ المَعَادِ، وَالْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ.

٣- وَفِيهَا: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالملَائِكَةِ الحَفَظَةِ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ يُحْصُونَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَمَّلَ، وَيَتَفَكَّرَ فِي بَدْءِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ، وَأَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ ضَعْفٍ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ الموْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالمينَ؛ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: ظُهُورُ مَكْنُونَاتِ الصُّدُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ حَيْثُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ حَوْلًا وَلَا قُوَّةً.

www.menhag-un.com

الآيات من: ١١ إلى: (١٧) نهاية السورة

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: المَطَرُ؛ لِرُجُوعِهِ، وَعَوْدِهِ كُلَّ حِينٍ.

﴿ٱلصَّدۡعِ﴾: الشَّقُّ بِالنَّبَاتِ.

﴿فَصۡلٞ﴾: حَقٌّ يَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: يَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَفِي الخُصُومَاتِ يَقْطَعُهَا بِالحُكْمِ الحَاسِمِ الجَازِمِ.

﴿بِٱلۡهَزۡلِ﴾: بِاللَّعِبِ، وَبِالْبَاطِلِ، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.

﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾: يُخَاتِلُونَ النَّبِيَّ ﷺ(١)، يُرِيدُونَ خِدَاعَهُ ﷺ، وَيَمْكُرُونَ بِهِ.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾: أَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

﴿فَمَهِّلِ﴾: فَتَأَنَّ، وَأَنْظِرْ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾: أَيْ زَمَنًا قَلِيلًا.

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٣).

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ المَطَرِ.

﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: ذَاتِ المَطَرِ؛ لِرُجُوعِهِ كُلَّ حِينٍ(٢)، وَالرَّجْعُ مِنْ أَسْمَاءِ المَطَرِ.

وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: أَيِ الَّتِي تَتَصَدَّعُ، وَتَتَشَقَّقُ بِالنَّبَاتِ.

أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ المَطَرِ، وَبِالْأَرْضِ الَّتِي تَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ عَلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفِي الْخُصُومَاتِ يَقْطَعُهَا بِالحُكْمِ الحَازِمِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٣).

(٢) أخرج ابن وهب في «تفسيره من الجامع» (١/ رقم ٢٧٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٥٧١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ رقم ٧٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٠، رقم ٣٩١٩)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾، قَالَ: «**ذَاتِ الْمَطَرِ**»، وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ترجمة ٢٩٣٠)، وفي رواية الطبري: «**ذَاتِ السَّحَابِ فِيهِ الْمَطَرُ**»، والمعنىٰ متقارب، وهو قول عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والضحاك، وأكثر المفسرين.

﴿وَمَاهُوَبِٱلْهَزْلِ﴾: وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا الْبَاطِلِ، بَلْ هُوَ الجِدُّ كُلُّ الجِدِّ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَعْمَلُونَ المَكَائِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

ثُمَّ هَدَّدَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: وَأَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ؛ لِيَقَعُوا فِي المَكْرُوهِ، فَإِذَا وَقَعُوا فِيهِ أَخَذْتُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: رُوَيْدًا: أَيْ زَمَنًا قَلِيلًا، وَقَدْ أَخَذَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي بَدْرٍ، وَجَعَلَهُمْ نَكَالًا.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا المَطَرُ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ وَيَتَكَرَّرُ، وَيُقْسِمُ تَعَالَىٰ بِالْأَرْضِ ذَاتِ الانْشِقَاقِ عَنِ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ.

وَفِي هَذَا خِطَابٌ لِلْعَرَبِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ، وَبِالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ عَلَىٰ مُقْسَمٍ بِهِ، وَهُوَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، فَيَفْصِلُ اللهُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَيْسَ بِاللَّعِبِ وَلَا بِالْبَاطِلِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَكِيدُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْأُمَّةِ، وَيُدَبِّرُونَ مَا يُدَبِّرُونَ مِنْ مَكْرٍ بِلَيْلٍ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْبِطُوا أَمْرَ الدِّينِ، وَأَنْ يُذْهِبُوا سَنَاهُ، وَنُورَهُ عَنِ الْعَالمينَ، وَهَيْهَاتَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ؛ حَتَّىٰ يُحْبِطَ عَمَلَهُمْ، وَحَتَّىٰ يُهْلِكَهُمْ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ الرَّسُولَ ﷺ أَلَّا يَعْجَلَ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ فِي طَلَبِ هَلَاكِهِمْ، وَأَمَرَهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُمْهِلَهُمْ إِمْهَالًا قَلِيلًا، فَسَوْفَ يَحُلُّ بِهِمُ الْعَذَابُ لَا مَحَالَةَ.

www.mennag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- وَفِي الْآيَاتِ: شَرَفُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَا فِيهِ مِنَ المَعَانِي الجَلِيلَةِ، وَالحِكَمِ الرَّشِيدَةِ، وَالتَّوْجِيهِ السَّدِيدِ.

فَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَرَفَ الْقُرْآنِ، وَعظَمَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسَامِعِهِ؛ يَنْبَغِي لَهُمَا إِجْلَالُهُ، وَالتَّرَفُّعُ بِهِ عَنِ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ، وَاللَّعِبِ؛ إِكْرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْكَافِرِينَ.

٣- وَفِيهَا أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلٌ فَصْلٌ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ شَيْءٌ، وَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ ذَلِكَ يَقِينًا بِمُرُورِ الزَّمَنِ، وَقَدْ رَأَوا أَنْبَاءَهُ تَتَحَقَّقُ فِي الحَيَاةِ، فَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ رَأَوْهُ قَائِمًا كَمَا نَصَّ عَلَيهِ(١).

فَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلٌ فَصْلٌ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْهَزْلِ شَيْءٌ.

❁ ❁ ❁

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٥).

www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْأَعْلَى

* سُورَةُ الْأَعْلَىٰ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ بِاخْتِصَارٍ الْمَوَاضِيعَ الْآتِيَةَ:

١- الذَّاتَ الْعَلِيَّةَ وَبَعْضَ صِفَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَالدَّلَائِلَ عَلَىٰ الْقُدْرَةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ.

٢ - الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَىٰ خَاتَمِ الرُّسُلِ ﷺ وَتَيْسِيرَ حِفْظِهِ عَلَيْهِ.

٣ - الْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا أَهْلُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْإِيمَانِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِتَنْزِيهِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، الَّذِي خَلَقَ فَأَبْدَعَ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، وَأَخْرَجَ الْعُشْبَ، وَالنَّبَاتَ، رَحْمَةً بِالْعِبَادِ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ، وَآنَسَتِ الرَّسُولَ ﷺ بِالْبِشَارَةِ بِتَحْفِيظِهِ هَذَا الْكِتَابَ الْمَجِيدَ، وَتَيْسِيرِ حِفْظِهِ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

* ثُمَّ أَمَرَتْ بِالتَّذْكِيرِ بِهَذَا الْقُرْآنِ، الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْ نُورِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَتَّعِظُ بِهَدْيِهِ الْمُتَّقُونَ، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِبَيَانِ فَوْزِ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَزَكَّاهَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

فَائِدَةٌ:

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِآنِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ -أَيْ: مِنَ الْمُهَاجِرِينَ-، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ ﷺ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّىٰ قَرَأَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا» الْبُخَارِيُّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ.

www.menhag-un.com

سُورَةُ الْأَعْلَى

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿سَبِّحِ﴾: نَزِّهْ رَبَّكَ.

﴿فَسَوَّىٰ﴾: جَعَلَ مَخْلُوقَهُ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ.

﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾: الْعُشْبُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ مِنَ النَّبَاتِ.

﴿غُثَآءً﴾: جَافًّا هَشِيمًا.

﴿أَحْوَىٰ﴾: أَسْوَدَ، يَابِسًا.

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾: نُيَسِّرُكَ: نُوَفِّقُكَ.

﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: الْيُسْرَىٰ: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ السَّهْلَةُ.

﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: الْعِظَةُ.

﴿يَخْشَىٰ﴾: يَخَافُ اللهَ تَعَالَىٰ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: يَتْرُكُهَا جَانِبًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ سُورَةَ الْأَعْلَى، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: الْأَعْلَى: أَيْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَهُ الْعُلُوُّ؛ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَةِ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: نَزِّهِ اسْمَ رَبِّكَ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَأَنْ يُذْكَرَ بِسُخْرِيَةٍ أَوْ لَعِبٍ، أَيْ: لَا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ إِلَّا بِإِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ، وَنَزِّهْ رَبَّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّاحِبَةِ، وَالْوَلَدِ، وَالنَّظِيرِ، وَالشَّبِيهِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خَلَقَ الإِنْسَانَ مُسْتَوِيًا(٢)، فَعَدَّلَ قَامَتَهُ، وَسَوَّى فَهْمَهُ، وَهَيَّأَهُ لِلتَّكْلِيفِ، وَأَحْسَنَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَسَوَّاهُ، وَفَطَرَهُ.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣](٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٥ - ٥٥٦)، و«فتح القدير» (٥/ ٥١٤ - ٥١٦).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٥).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، قَالَ: «هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا».

قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٧٩): «وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥] أَيْ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى =

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾: وَالمَرْعَىٰ: الْعُشْبُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ مِنَ النَّبَاتِ.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾: وَالْغُثَاءُ: الهَشِيمُ الجَافُّ، فَجَعَلَهُ هَشِيمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ، فَاسْوَدَّ بَعْدَ اِخْضِرَارِهِ.

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾: الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: الْقُرْآنَ بِإِذْنِنَا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُنَسِّيَكَهُ، فَإِنَّكَ تَنْسَاهُ.

وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ نَسْخَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِلَفْظِهِ، فَإِنَّهُ يُنَسِّي فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِما نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ(١).

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾: وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَمَا تُبْدُونَ، وَمَا تُخْفُونَ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: أَيْ لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ(٢)، وَهِيَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: فَعِظْ بِالْقُرْآنِ النَّاسَ، وَأَرْشِدْهُمْ إِلَىٰ سُبُلِ الْخَيْرِ، وَاهْدِهِمْ إِلَىٰ شَرَائِعِ الدِّينِ، حَيْثُ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ.

فَأَمَّا مَنْ ذُكِّرَ، وَبُيِّنَ لَهُ الْحَقُّ بِجَلَاءٍ، فَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ تَذْكِيرِهِ، وَهَذَا فِي تَكْرِيرِ الدَّعْوَةِ، أَمَّا الدُّعَاءُ الْأَوَّلُ فَعَامٌّ، ﴿فَذَكِّرۡ إِن

= الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ». اهـ.

(١) وهو قول مجاهد، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧١).

(٢) عزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٤) للضحاك.

﴿نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: الدُّعَاءُ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ عَامٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَمَّا تَكْرِيرُ الدَّعْوَةِ فَهِيَ الَّتِي تُقْصَدُ هَاهُنَا، الدَّعْوَةُ الَّتِي تُكَرَّرُ.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾: سَيَتَّعِظُ بِوَعْظِكَ مَنْ يَخْشَىٰ اللهَ، فَيَزْدَادُ بِالتَّذْكِيرِ خَشْيَةً وَصَلَاحًا.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾: وَسَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَىٰ، وَيَبْعُدُ عَنْهَا الْأَشْقَىٰ مِنَ الْكُفَّارِ.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: أَيِ الْعَظِيمَةَ الْفَظِيعَةَ، وَالنَّارُ الصُّغْرَىٰ: نَارُ الدُّنْيَا(١)، وَنَارُ الدُّنْيَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ(٢).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فَيَسْتَرِيحُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾: حَيَاةً يَنْتَفِعُ بِهَا، لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا فَيَهْنَأُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) قاله يحيىٰ بن سلام كما في «التفسير» لابن أبي زمنين (٥/ ١٢١)، وعزاه غير واحد للحسن البصري رحمه الله، وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٦): «**النَّارُ الْكُبْرَىٰ: هِيَ السُّفْلَىٰ مِنْ أَطْبَاقِ النَّارِ**».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (بدء الخلق، ١٠: ٨، رقم ٣٢٦٥)، ومسلم في «صحيحه» في (صفة الجنة، ١٢: ٢ و٣، رقم ٢٨٤٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**»(١)، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ الخَلَائِقَ، وَسَوَّىٰ كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْإِنْسَانُ جَعَلَهُ مُسْتَوِيًا، وَعَدَّلَ قَامَتَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدَّرَ السَّعَادَةَ لِأَقْوَامٍ، وَالشَّقَاءَ لِآخَرِينَ، ثُمَّ هَدَىٰ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الطَّائِفَتَينِ إِلَىٰ مَا قَدَّرَ لَهُ أَوْ عَلَيهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَنْبَتَ الْعُشْبَ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ، قَدَّرَهُ أَلْوَانًا بَيْنَ أَخْضَرَ، وَأَصْفَرَ، وَأَحْمَرَ، وَأَبْيَضَ، وَجَعَلَهُ بَعْدَ الخُضْرَةِ وَالانْتِعَاشِ ذَابِلًا مُتَهَالِكًا أَسْوَدَ، فَالْعُشْبُ إِذَا ذَبُلَ، وَتَكَسَّرَ اِسْوَدَّ.

ثُمَّ وَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: إِنَّهُ سَوْفَ يُقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا، وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَهُ ﷺ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ لَا يَنْسَىٰ

---

(١) أخرج أبو داود في «سننه» في (الصلاة، ١٥٠: ١، رقم ٨٦٩)، وابن ماجه في «سننه» في (إقامة الصلاة، ٢٠: ١، رقم ٨٨٧)، من حديث: عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قَالَ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**».
قال الألباني في «المشكاة» (رقم ٨٧٩): «وإسناده محتمل للتحسين».

مَا يَقْرَؤُهُ لَهُ جِبْرِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لِوَعْدِ اللهِ بِعَدَمِ النِّسْيَانِ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُنَسَّاهُ مِمَّا نُسِخَتْ تِلَاوَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يُنَسَّاهُ وَيَتْرُكَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُوَفِّقُهُ وَيَشْرَعُ لَهُ الشَّرِيعَةَ الْيُسْرَىٰ السَّمْحَةَ السَّهْلَةَ.

وَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّذْكِيرِ وَالمَوْعِظَةِ بِالْقُرْآنِ فِي المَوَاضِعِ الَّتِي تَنْفَعُ فِيهَا الذِّكْرَىٰ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالمَوْعِظَةِ مَنْ يَخْشَىٰ قَلْبُهُ اللهَ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهَا الشَّقِيُّ الَّذِي يَدْخُلُ النَّارَ الْكُبْرَىٰ، فَيَصْلَىٰ بِحَرِّهَا وَعَذَابِهَا.

وَسَمَّاهَا كُبْرَىٰ بِالنَّظَرِ لِنَارِ الدُّنْيَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

فَإِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّقِيُّ النَّارَ فَهُوَ مُضْطَرِبٌ، مُبْلَبِلٌ؛ حَيْثُ لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْ عَنَاءِ الْعَذَابِ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً تَنْفَعُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ.

(١) تقدم تخريجه.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ تَسْبِيحِ اسْمِ اللهِ، وَوُجُوبُ تَنْزِيهِهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَوُجُوبُ تَنْزِيهِ ذَاتِ اللهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: مَشْرُوعِيَّةُ قَوْلِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ» عِنْدَ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

٤- وَفِيهَا: تَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: إِثْبَاتُ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ.

٦- وَفِيهَا: الْبِشَارَةُ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنَّ اللهَ سَيُعَلِّمُهُ عِلْمًا لَا يَنْسَاهُ، وَسَيُيَسِّرُ لَهُ شَرِيعَتَهُ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَالمَوَاعِظِ، وَأَلَّا يُبْذَلُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٧).

www.menhag-un.com

٨- وَفِي الْآيَاتِ: شِدَّةُ عَذَابِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ، وَجَانَبَ الهُدَىٰ وَالدِّينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ١٤ إلى: (١٩) نهاية السورة

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿أَفْلَحَ﴾: فَازَ، وَظَفِرَ بِالمَقْصُودِ.

﴿تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالمَعَاصِي.

﴿تُؤْثِرُونَ﴾: تُفَضِّلُونَ.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: أَدْوَم.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: قَدْ أَفْلَحَ: فَازَ بِأَنْ نَجَا مِنَ النَّارِ، وَدَخَلَ الجَنَّةَ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ: تَطَهَّرَ بِالإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بَعْدَ التَّخَلِّي عَنِ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي(٢).

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾: فِي كُلِّ أَحَايِينِهِ، فَذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ عِنْدَ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ وَنَوْمِهِ، وَفِي الصَّلَاةِ وَخَارِجِ الصَّلَاةِ، وَفِي التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أَيِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصَلَّىٰ النَّوَافِلَ مِنْ رَوَاتِبَ، وَغَيْرِهَا(٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٣)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٨٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٢٠٥)، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، يقول: «**مَنْ تَزَكَّىٰ من الشرك**»، وهو صحيح عنه، وروي نحوه عن جابر رضي الله عنه مرفوعا، ولا يصح، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء، وعكرمة.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٨٤)، بإسناد صحيح، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾، يقول: «**صلَّىٰ الصلوات الخمس**»، واختاره ابن جرير الطبري.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾: بَلْ تُقَدِّمُونَ، وَتُفَضِّلُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: وَأَدْوَمُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا﴾: يُشِيرُ إِلَىٰ مَا مَرَّ[1]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: ثُمَّ فَسَّرَهَا تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: وَهِيَ عَشْرُ صُحُفٍ ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: يَعْنِي التَّوْرَاةَ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٣)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٨٠، رقم ٢٢٨٥/ كشف الأستار)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٣٣، رقم ١١٦٠٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٧٥ - ٧٦، ترجمة ١٥٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، والإسماعيلي في «معجمه» (١/ ٤٨٤، ترجمة ١٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٣٧، و٤٢٦، و٤٧٠، رقم ٢٩٣٠، و٣٥٩١، و٣٧٥٤)، من طريق: عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾، يَقُولُ: «**إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ**».

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، بإسناد صحيح، عن عكرِمة، قوله، وهو قول أبو العالية، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري.

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَذْكُرُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْفَوْزَ لِمَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ وَالذُّنُوبِ، وَأَدَامَ الذِّكْرَ لِرَبِّهِ، وَدَاوَمَ عَلَىٰ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَةِ؛ اِبْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَحَافَظَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مِنْ طَبْعِ النُّفُوسِ تَقْدِيمَ الْعَاجِلِ عَلَىٰ الْآجِلِ مَعَ مَا فِي الْآجِلِ مِنَ الخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، وَالمُرَادُ بِالْعَاجِلِ: الدُّنْيَا. وَبِالْآجِلِ: الْآخِرَةُ. وَإِيثَارُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ خَطَأٌ وَاضِحٌ، وَخَطَأٌ عَظِيمٌ.

ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ فَلَاحَ المُتَزَكِّي وَالمُصَلِّي، وَأَنَّ إِيثَارَ الخَلْقِ دُنْيَاهُمْ عَلَىٰ آخِرَتِهِمْ مَعَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَبْقَىٰ؛ كُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ، وَهِيَ المَعْنِيَّةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ[١]: التَّرْغِيبُ فِي الزَّكَاةِ، وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَيَحْصُلُ هَذَا لِلْمُسْلِمِ كُلَّ عِيدِ فِطْرٍ؛ إِذْ يُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَلَا يَأْتِي المُصَلَّىٰ إِلَّا وَهُوَ يُكَبِّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَرَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: وَعْدُ مَنِ امْتَثَلَ أَوَامِرَ رَبِّهِ، وَأَدَّىٰ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ، فِيهَا، وَوَعْدُهُ لِهَذَا بِالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا.

٤- وَفِيهَا: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ هَذِهِ الدُّنْيَا فَانِيَةً، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ هِيَ الْبَاقِيَةَ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: عِتَابُ مَنْ قَدَّمَ دُنْيَاهُ عَلَىٰ آخِرَتِهِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَالرِّسَالَاتُ كُلُّهَا تُرْشِدُ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَسَعَادَةِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الشَّرَائِعُ، وَكَيْفِيَّةُ الْعِبَادَةِ.

فَدِينُ اللهِ وَاحِدٌ، وَمَا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ إِنَّمَا هُوَ الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَصَرْفُ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٩).

www.menhag-un.com

وَأَمَّا الشَّرَائِعُ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ، فَقَدْ نُسِخَتْ تِلْكَ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا، نَسَخَتْهَا شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَا دِينَ إِلَّا دِينَهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَّا طَرِيقَهُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com